متى لا أُكتب

عنك !

طبعة أولى 2021

- الكتاب: متى لا أكتب عنك (خواطر نثرية)
- المؤلف: مي اسماعيل بخيت
- مراجعة لغوية: عزيز عثمان
- تصميم الغلاف: صابرين
- تنسيق داخلي: حنين علي
- رقم الايداع: ٢٦٦٠٢ / ٢٠٢١
- دولي: 978-977-6875-96-8

المدير العام: عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com

واتس آب: 01005186476

صفحة الدار على موقع فيس بوك:

دار المنتدى للنشر والتوزيع



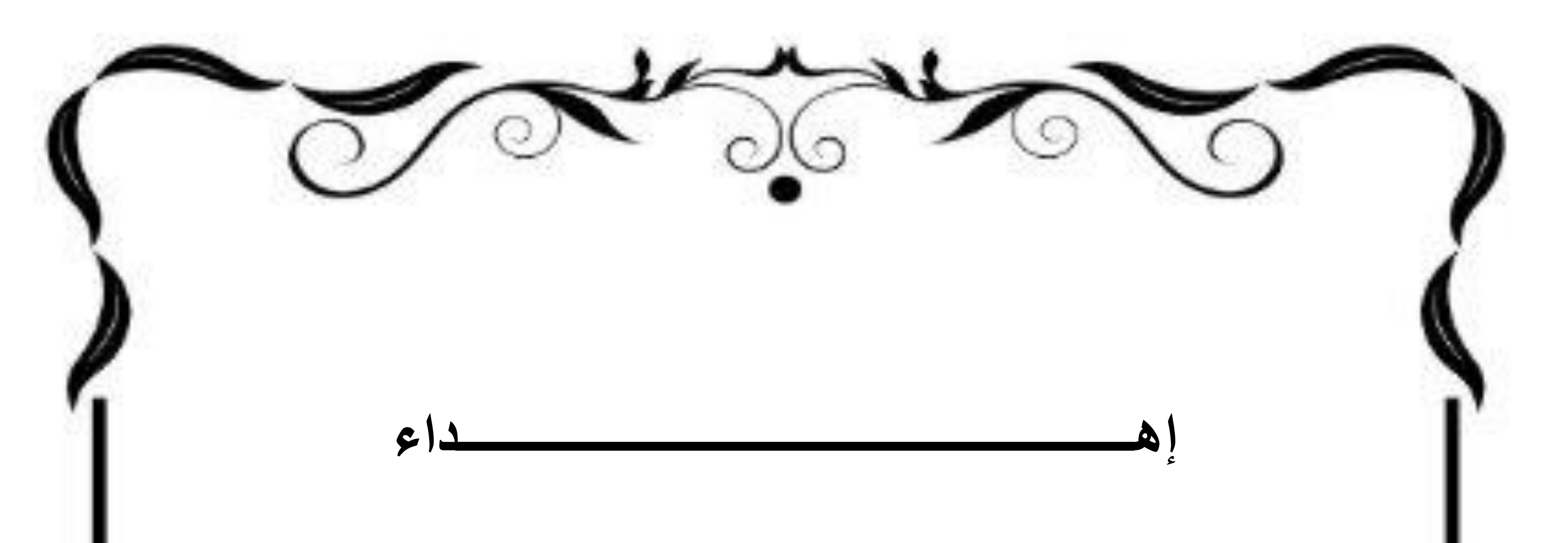




متى لا أكتب عنك !

(خواطر نثرية)

مي اسماعيل بخيت



إهـــــــــــــــــــــــداء

إلى روح أبي (رحمة الله عليه)

الـذي علمنــي أن الكلمـة كنـز وعـالم مـن الخيـال والسـحر، وأن الحـروف مـا هـي إلا خـرزات منظومـة فـي خـيط مسـبحة اللغـة كـان يحـرص ألا تنفـرط حتـى لا تضـيع تسـابيح الكلمـات، علمنــي أن هنــاك قدسـية خاصــة للكتــاب، كنــت أراه يحملـه برفـق، يتحسسـه خشـيه أن تجـرح غلافـه أناملـه فيتـألم، يُقلّـب صـفحاته بحـذر خشـية ان أن تسـقط منهـا كلمـة أو حـرف؛ فتهـوي معهـا لغـة الضـاد، تلـك اللغـة التـي كـان راهبـا فـي محرابهـا، والتـي عـاش مـدافعا عنهـا ورافعـا راياتهـا فــي كـل المنتـديات والمحافـل الأدبيـة، لـم أره يومـا وقـد اسـتثمر عشـقه لـلأدب والشـعر ولـم يـرضَ أن يتـاجر بالكلمـة فـي سـوق النخاسـة، كـان مرجعـاً للكثيـر مــن الشــعراء والأدبــاء مــن الجيـل الجديـد، ولـم يبخـل يومـا بعطائـه اللغـوي والإنسـاني، ولـم يجعـل هـذا العطـاء مجـالا لعقـد الصـفقات والمقايضـات الماديـة، فكان يعطي بحب ورحابة صدر، وبغير حساب.



إلى روح أمي (رحمها الله)

أمـي التـي لـم أخجـل مـن أن أبـوح لهـا برتـوش خـواطري؛ فكانـت أول مـن شـاركتني لحظـات المخـاض، ولـم يكتـب لهـا القـدر أن تحمـل وليـدي بين يديها لتُكَبِّر في أذنيه وتقيم له عُرس الميلاد.

إلى زوجي عمرو

مـن عَلمنـي أن ديـوان الأمـل لا يُهـدى إلـى الأحـزان... أدامـك الله بقلبي.

إلى أخوتي

إليهم جميعاً أهـــدي كتابي.



بنيتي

تلك بعض من لمساتي المتناثرة

ولكن... ليست كل الحكايا ألف ليلة

فهناك قصص فجرها بارود، فتناثرت أشلاءها قبل أن تكتمل فصولها

والشاطر حسن لا زال فارساً يئن خلف جدران الحكايا من قسوة القضبان الحديدية

بعد أن اعتقله سجانو الكلمات

فلا تبحثي بين سطوري عن الفراشات الملونة والنجمات الذهبية

وعن الزهور الفواحة والأنهار الفضية

فتلك صور من عهد مضى كنا فيه ذات يوم بشر

هناك دائماً لغة فيما وراء الكلمات، لو استطعنا فكّ رموز تلك اللغة؛ لاستطعنا فكّ رموز العالم بأسره.

ساحر الصحراء /باولو كويلهو



متى لا أكتب عنك

آسر قلمي...

أما كفاك؟!

كـل مـن يقـرأوك بـين سـطوري يـدرك أنـك لا زلـت حـراً طليقـاً تُعربِـد داخل مدني وأكواني

وأنك أحكمت الوثاق حول معصم قلمي

فلم يعد يكتب إلا بأمرك أنت وتحت عنوانك أنت

فخبرني متى موعد الرحيل ومتى يتحرر قلمي منك!؟

وإلـى متـى يهوى جرحـي مدينـة غيـر موجـودة وإلـى متـى تغـرد أحزانـي داخل أقفاصك المُذَهّبة!

أما كفاك يوماً قد استعذبت فيه ألمي

ودعوت كل الغادرين لحفلة عشاء أخيرة إلى وليمة قلبي

فقدِم الدعوات ومزق في أحشاء قلبي بسخاء

فهذا القلب قد جفت أوردته بعد أن أجريت دماؤك في عروق غيره

ونسيت أني واريته الثرى منذ فراقنا من زمن

فهل يضير الشاة سلخها بعد الذبح!

فمزق ومزق...

وكلوا هنيئاً ما بقى من جثمان قلبي

وأرقصوا طرباً على أعتاب قبره

واعزفوا لحن الكؤوس وقدموا التهاني في ذكرى تأبين قلبي

فمتى يجف مِداد قلمي

متى ترحل وتهجر مدن أوراقي وكتبي

ماذا تنتظر واليوم تيتمت قصائدي التي كنت أباً شرعياً لها!

ولم تعد في حضانتك وفقاً لقوانين النسب

فلترحـــل... فأنـــا كرهـــت مُعجـــم الآلام وســـئمت التـــأريخ لأســـطورة أحزاني

ومللت تدوين التواريخ المنسية في ذاكرة قلمي

ارحل... فأنت اليوم لم تعد موشوماً على قلبي

ومـا عـاد قـدري بعـد اليـوم أن أتـرنح داخـل دائـرة مفرغـة مـن قصـائد الذكريات

وأنا أراقص رجل واحد رقصة حب أخيرة فوق مسرح ديواني

وأن يبقى بطل أوحد لكل خواطري

وأُذَيّل باسمه كل إهداءاتي وتذكاراتي الشعرية

ارحـل .. فـاليوم ماتـت جـذورك التـي غرسـتها بـأرض ديـواني ولـم تنبـت غير ثمار موسمية، كانت تسمى... ذكريات

ارحل... فما أنت إلا فصل من فصولي الأربع ويوم في أيام أسبوعي

وما أنت إلا لؤلؤة من ملايين لآلئ تكمن في أحشاء بحور شعري

ومفرد واحد في معجمي اللغوي، وحرف لا يولد إلا بأمر من قلمي

فكيـف بعـد قصـائدي ومعلقـاتي أعـود لأكتبـك أنـت يـا قصـة حبـي الصغيرة!

ارحل... فما أنت في دنيا قلمي وأوراقي إلا بقايا من قصة قصيرة.





إلى حامل باقة الزهور

يضـيق بـي عـالمي، تحاصـرني الآلام، فـأعتزل داخـل جـدران نفسـي، أتوحد مع أحلامي في رحلة سفر إلى... هناك

هناك... بين حكايا سندباد والشاطر حسن وفارس بجواد أبيض

أراك تحمل باقة الزهور الحمراء وكأنك على موعد معي

تحمل عني حقيبة سفري المليئة بالأحزان والذكريات

تشدني إلى دربك؛ فتتعانق عينانا؛ لتعلن ميلاد وطني الجديد

تلقـى إلـيّ بزهـرة مـن باقـة الزهـور الحمـراء؛ لأغيـب مـع رحيقهـا داخـل سطور الحكايا

وعند دقات الساعة...

تفيق أحلامي على صوت قطار العودة

يعلن انتهاء الرحلة

فأعود إليك لأودعك وأودعك قلبي إلى يوم لقاء جديد

فأراك في نفس المكان

بين يديك باقة الزهور الحمراء؛ تحمل عنها حقيبة سفر أحزانها

تشدها إلى دربك

تتعانق عيناكم؛ لتعلن ميلاد وطنها الجديد

تلقي إليها بزهرة من باقة الزهور الحمراء؛ لتغيب مع رحيقها داخل سطور نفس الحكايا

وينساب دمعي حين تراني وكأنك يوماً لم تلقاني

حين تسلني عن اسمي، عن حقيبة سفر أحزاني

حين تلقي إليّ بزهرة من باقة الزهور الحمراء

لأعود أنا... وتنتهي فصول الحكاية





ذكريات

حين يصير ما كان حاضر ماضياً

حين يعلن الماضي أنه ما زال حياً

وتبدأ المرايا في حذف رتوش الزمن

فتتذكر الفرشاة المنسية ملامح من زمن قديم

حين تصرخ همسات الأعين الصامتة... اشتقت إليك

ويسال القلب سؤاله الأوحد... لماذا

لماذا يا عمري كان الفراق

حين يمتلئ الكون بأنفاس عطر أثير جاء من دفاتر الذكريات

فنتذكر وردة نائمة بين طيات الصفحات لم يُستباح عطرها

و يعود القلب يشتاق مدن الحب الأولى

فيعود العمر إلى أول زمانه

ويأتي القدر ليقّلب صفحات الأيام

فيصير الماضي حاضراً يتجسد صوتاً وملامح

حينئذ... ندرك أنه ليس هناك من ذكريات

بل حاضراً صار ماضيا

وماضٍ لم يكن يوماً قد مات.





خيط رفيع

بين الحب واللاحب خيط رفيع هو... أنت

هو أنت حين تتجسد أشيائي

حين تصير ملامحك كل تكوينات عالمي الافتراضي

حين يصبح همسك حد فاصل بيني وبين صرخات البشر

حين يسدل وجهك كستار بيني وبين هذا العالم

حين تتوقف كل حواسي عن النبض إلى أن نلتقي

تكون أنت... خيطي الرفيع

بين العالم واللا عالم

بين الحب واللا حب.





فجر كاذب

حبيب العُمر لم يبق في عُمراً

إلا بقايا عُمر يبكي عُمرنا

أُلملم أوراق السنين فلا أجد حروفنا

فيضيع العُمر ويبكي اللقاء لفراقنا

مضى العُمر وذبلت أزهارنا

وصار اللقاء ينكر لقاءنا

كنا يوماً وكانت أحلام لنا

وافترقنا عُمراً وضاعت منا أحلامنا

تهمس الذكرى شوقاً لأيامنا

وأيامنا ضاعت؛ لم يبق سوى أحزاننا

لا تسلني أن أعود والفجر ضل طريقنا

اذهب أنت كما تشاء وسأكتب نهاية حلمنا

وسأنسى يوماً عشقنا، فجراً يُلملم عُمرنا

فالعُمر مضى، ونحن مضينا، وكاذب أنت يا فجرنا

كاذب أنت يا فجرنا.




وإن نفترق

اذكرني وإن نفترق .. أنت حب يأسر وجداني

أنت روح هامت حولي .. فباتت تسكن أزماني

أنت شدو طيور الربيع .. تتغنى بأحلى الأغاني

أنت صدى الناي الحزين .. إذ يهمس يوماً في آذاني

أنت درب ورغم الفراق .. في كل خطوة يلقاني

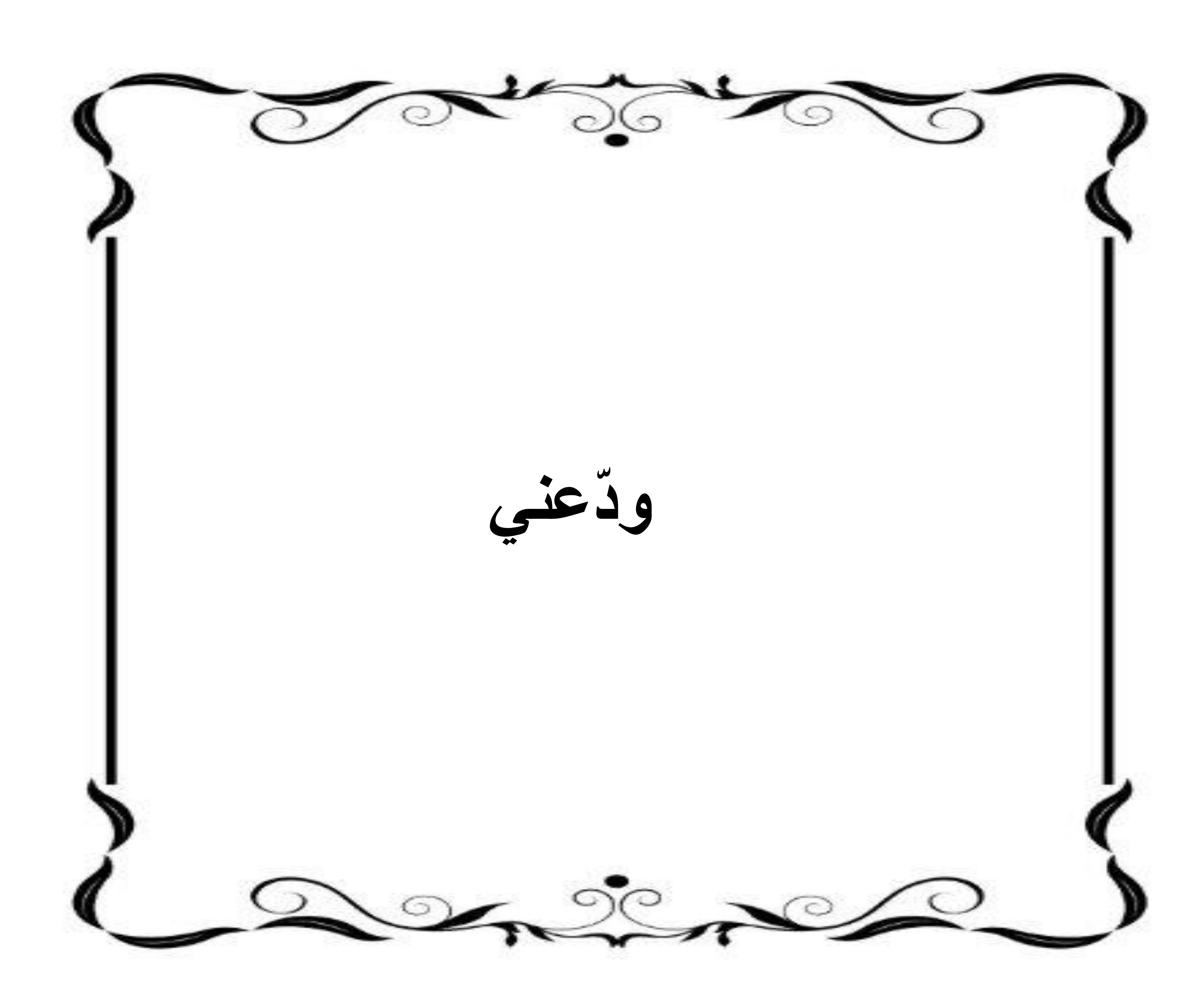
أنت عين وبريقها .. تاريخ عمري وعنواني

أنت إلهامٌ حرفي .. مِداد قلمي بأحلى المعاني

فأذكرني.. فلن تكون ذكرى بل حاضر يحيا فيه زماني

اذكرني وإن نفترق .. أنت أول حب يأسر وجداني.





ودّعني

ودّعني ودَعْني الملم ذاتي المغتربة من زمن في وطن الذكريات

ودّعني ودَعْني أسافر منك إلى كون الله الأرحب

ودّعني فقد سئمت بقائي، وضاقت بي أرجاء مدينة قلبك المظلمة

وكرهت طقوسك السوداء في تعذيب العاشقين

وشهدت على تحريفك لكل اعترافاتهم وتضليل أقوالهم

ودّعني فما عدت قادرة أن أتنفس رائحة دماء وأشلاء معتقلاتك

فقد سئمت الحياة في عالم أنت شمسه وقمره، عالم أنت بحره ونهره

عالم أنت كل طرقاته وعواصمه ومدنه

عالم أنت دستوره وجلاده، شيطانهُ وإلههُ

ودّعني فقد سئمتك وسئمته

كَفَرت بكل تشريعاته ومللت طقوسه في إحراق القلوب

ضقت بأزمنته وأمكنته

ودّعني فلم يزل يؤرقني صهيل أحزان ضحاياك يطالبني بالقصاص

بفك أسر أرواحهم من قبضة استبدادك اللامتناهي

ودّعني فقد ضللت الطريق في رحلتي إلى إنسانك

فلم تكن مدينتك هي مدينة الحب، بل مدينة العذاب والذكريات التعسة

ودّعني فربما أصادف شمساً جديده تغزل جدائل فجري الأول

فشمس مدينتك لا زالت غائمة ... ولم تحفظ غير تراتيل الغروب

ودّعني فقد ضاقت أودية عالمك بقلبي الرحب

فلا وألف لا يا سيد مدينتك

لا وألف لا يا إله عالمك

فهذا القلب لن يعود ثانية يوقِّع على دساتير استبدادك بمداد من خضوع

ولن يعود ويرضى بتشريعات الغدر والخيانة واللاحب

فأنا اليوم كفرت بما آمنت به تحت تهديد سيفك

وكيف يتغنى بحُبك قلب لم يزل يعزف لحن قهره

دعّني... فربما تحرر هذا القلب المثقل بآلام الصمت

فمنذ رحيلي إليك توقف عن النبض

فارق بإرادتك الحياة ولم تفلح كل محاولاتي لإنعاشه

فدستور مدينتك يجرم الحب بقلب حي

فودعّني ودعَني الملم ما بقى حيا من تكويناتي التي جئتك بها تغرد لحن الحياة

دعَني أرحل قبل أن تموت كل حواسي وقبل أن تطمس فرشاة الزمن ملامح شبابي، فأنسى أمنيات وضعتها قلب فجري

دعني أرحل قبل أن تتحقق نبوءة عرافتي...

بأني يوماً سأرحل من أبواب مدينتك حاملة نعش قلبي

دعني فربما بعد الرحيل يستفيق هذا القلب

ولربما أحببتك بعد الرحيل

ولربما تذكرت أني أحببتك يوماً قبل الرحيل

ولربما عدت إليك بإرادتي بعد الرحيل

فودعّني ودعَني بحق أزمنتي المقتولة على أعتاب عالمك

بحق كل دواوين شِعري التي استشهدت تحت أقدام قلبك

ورضيت أن تنثرها رماداً يطفئ صقيع قلبك

دعني بحق كل قربان قدمته إليك ولم يفلح في إعطائي صَكّ حريتي

فربما في رحلة العودة الحزينة ألقى كل ما ضاع مني

ولربما عاد العمر بلوحة صبايا؛ ليحذف عنها رتوش أزمانك

فأصادف ربيع قلبي التائه

وأسطر أولى قصائد ميلادي.





عَلمني كيف أحبك؟

علمني كيف أحبك؟

كيف بحُبك أُبعث من جديد

علمني كيف يعود هذا القلب المدد في غرفة انعاشه لينبض من جديد

وكيف أن الشمس حين تغرب لا تموت، بل تولد في عالم آخر

علمني كيف الملم أشلاء العمر بعد أن مزقت بيدي خرائط السنوات

علمني كيف أطمس خطوط كفي؛ لأخفي نبوءة لقاءنا عن كل العرافات

وكيف أحطم أقداح قهوتي حتى لا تستباح على الملأ أسرار غيبنا!

علمني كيف أحبك

كيف أن الحب يفك أَسْر الروح

علمني كيف أنزع قيود الماضي عن معصم قلمي

وكيف أغير لون مداده إلى لون البحار والأشجار والعصافير والأنهار

علمني كيف أحبك

وكيف تُنطق أبجديات العشق

فقد تاهت حقائب مفرداتي في مدن الأحزان

علمني كيف أكتب عنك

كيف أنشر أفكاري عن الحب

وما مقدمات قصائد الحب وفاتحات ديوانه

وكيف تكون طقوس الكتابة عن الحب

وكيف أكتب إهداءً إلى من علمني أن ديوان الأمل لا يُهدى إلى الأحزان

علمني... كيف أجفف دمع قصائدي وكيف تفرح كلماتي وتشتاق

وكيف أنزع أغلفة الحداد عن جسد ديواني؛ لأعلن عُرس خواطري

علمني كيف أكتبك عنواناً يهدي كل قصائدي

علمني أن الذكريات لم تكن إلا مسرحية هزلية أتسلى بفصولها حتى ألقاك

وأن الماضي كان حلماً.. كان سراباً.. لم يمر بعمري ولم أحياه

علمني كيف يكتب التاريخ المستقبل

كيف تنبأت أساطير العشق بقصة حبنا التي لم تزل تبدأ

وبأنك ستسكن قلبي دون أن أدري قبل ملايين الأعوام

وستكون تجربتي الخالدة رغم واقع كل تجارب الأحزان

وبأنني سألقاك وأحبك وسأبقى أحبك

ورغم كل حالات الرِدّه بين العاشقين سأبقى أنا على مِلتي

أشهد ألا حب غير حبك

وبأننا سنكون أشهر حكايا الف ليلة وأجمل مائة قصيدة حب

فعلمني كيف أحبك

وكيف أستغفر الله عن شهادتي الزائفة في حق كل شعراء الحب

وكيف أكّفر عن ذنبي في اغتيال كل قصائد الحب

وتفجير المسارح التي تعرض روايات الحب واستشهاد أبطالها

علمني كيف أحبك

كيف أن العاشق يكتب دستور بلاده

كيف رغم الثورة أُخضِعُ إليك إرادتي وأستجديك تحكُمني حكماً فردياً

وكيف أن القوانين والتشريعات التي تجرم أفعال الحب محرّفة

علمني كيف أمزق جواز سفري وأمحو كل تأشيراتي القديمة إلى مدن ما قبلك

وكيف أرسم خريطة مدينة اللقاء

وكيف يكون بيت الفراشات مأوانا

علمني كيف صارت بعد لقاءنا مدن الذكريات محرمة على قلبي

وكيف أن خريطة قلبك هي حدودي

وأن مدن القلوب بعدك مُحرمة على قلبي

علمني كيف يكون قلبك المهد الأوحد لروحي وروحك وطن أوحد لقلبي

وكيف أن بريق عينيك هو فجر عمري الأول

علمني كيف أحبك

فأنا لا أعرف كيف أحبك

ولم تعزف قيثارة قلبي سوى لحن الأحزان

فعلمني كيف أصفح عن أزمنتي القاسية

وكيف أغزل خيوط عمري الآتي من لحظة لقاء

وكيف يبقى بيننا شيئاً يعيدني إليك بعد الفراق

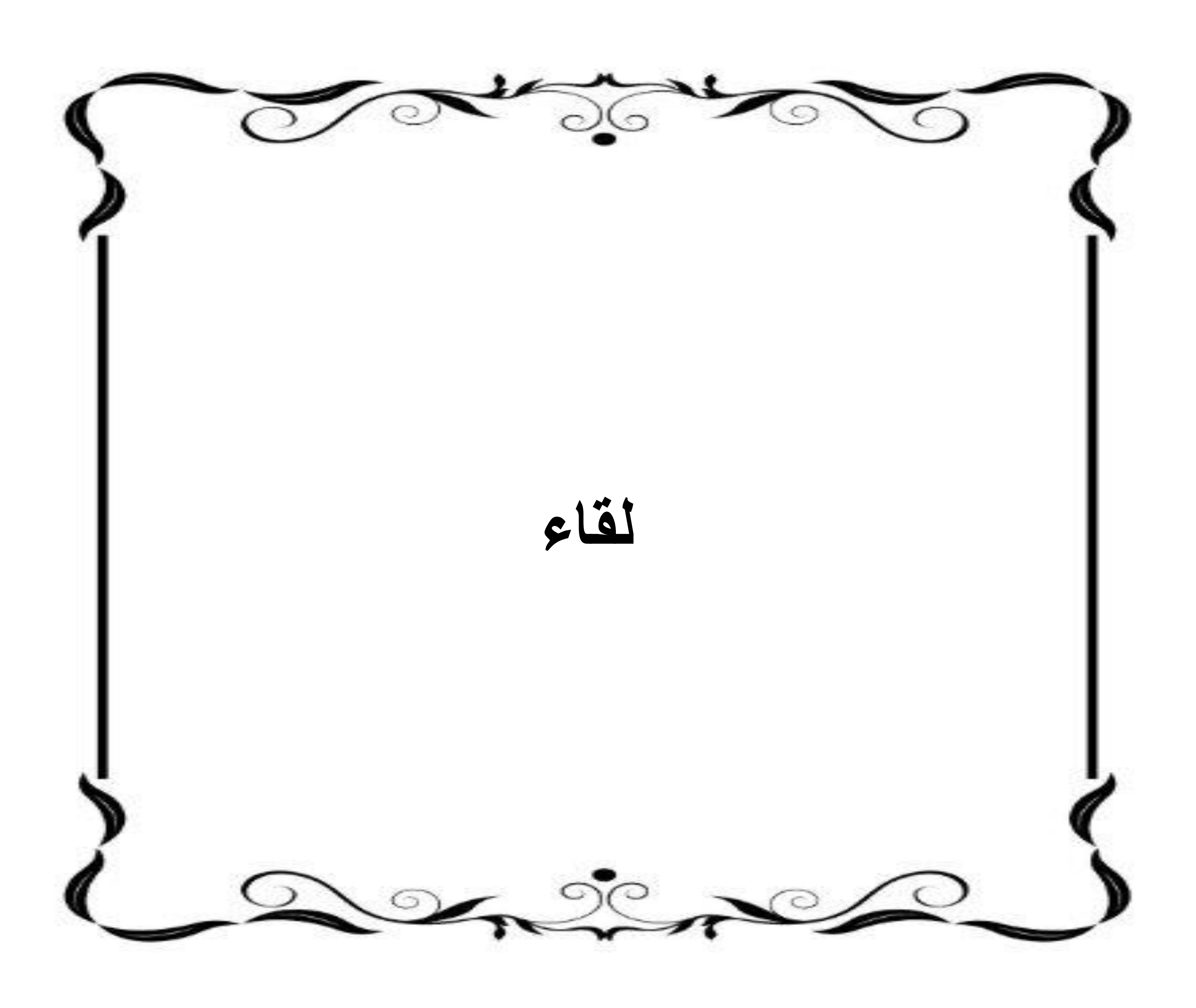
علمني كيف أحبك وأحبك وأحبك

وكيف أعود تلميذة في مدرسة عشقك

فأنا لم أحفظ مناهج العشق يوماً

ولم أؤرخ إلّا تجارب أحزاني.





لقاء

ألقاك... فيصير ماضي عمري رماداً

وتُختزل كل صفحات حياتي في عنوان... لقاءك

تكتمل روحي في داخل روحك

وتنفصم ذاتنا لحظة الوداع

فيصير ما معي (مني) ليس مني

ولكن يبقى كل ما (مني) لديك

ويعلن قطار العودة انتهاء رحلة قلبي في رحاب مدنك

وتدق أجراس الوداع

ويصير الزمان والمكان بغير معنى

فلا الزمان بعدك زماني ولا هذه الدنيا مكاني

وافتقدك... فأسدل بيني وبين العالم ستار وجهك

وتحبس حواس الكون أنفاسها

فتتوقف نبضات ساعات الكون ويأبي الزمان يقلب صفحات الأيام

نفترق... فتتوه ملامحي وتَهجرُ مرآتي

وأظل بعدك أبحث عني (إيزيس)

أطوف الدنيا ألملم أشلاء ذاتك؛ لتجتمع ذاتي

نفترق... فتتلاشى بعدك ملامح الأكوان البشرية

وترسم ريشة الحنين ملامح وجهك الغائب الحاضر

وأنظر في مرآة وحدتي، فلا أجد إلا ملامح الأشواق والحنين

وأشتاقك، فأشتاق أرفع الأستار عن ملامح أُنثاي

لأبحث عن حوائي في مهد آدمك

فأعشق يوم التقينا وأأمل يوم نجتمع.





عذراً إليك

عذراً حبيبي

لم أعد أحبك

فلا تسلني اليوم عنك

لا تسلني عن حب قد مضى وضاع

لملمت ذاتك، فارقت مسام روحي، أطفأت بيدك قمر عشقنا، فارتدت سمائي ثوب الحداد

وأسدلت بعدك ستائر قلبي

واليوم ها أنا بدونك، ألملم أشيائي؛ لأعود إلى مدينة وحدتي

لا أملك إلا بقايا قصة حب رحل كاتبها قبل أن تكتمل فصولها

ليترمل القلب قبل بدء طقوس العُرس

فعذراً حبيبي إذا جاء اليوم لتسألني عنك وكان جواب القلب من أنت؟!

فهذا القلب لم يعد ذاك القلب المُستكين الهائم في مدن الحلم

لم يعد ذاك القلب الذي عشق داء انتظارك

فقد استسلم الآن، سلم دَقّته إلى يد الفراق، ألقى بكل أطواق النجاة رافعاً راياته البيضاء

اليوم يحاكمني قلبي الذي كان يوماً يحبك

يطالبني أن أستعيد منك كل ما أنفقه في حبك من دقات

اليوم انتفض قلبي، أعلن العصيان، خرج حاملاً لافتات الغضب والتنديد

انتفض هذا القلب الصامت معلناً مطلب الرحيل

ها هو يطالبك بالتنحي وإطلاق سراح كل حواسي التي كنت يوماً مليكها الأوحد

يطالبك بالرحيل الأبدي ولن ينسى أن يعدك بالخروج الآمن

فأنت منذ بدء الحكاية لم تكن يوماً قيد الاعتقال أو رهن الإقامة الجبرية داخل أكواني

فمنذ رفعت الستار عن مشهد حبي أطلقت سراحك، حررت قلبك من أقواس الحب الأبدي

ولم أحاصرك داخل دائرة الطباشير القوقازية

فمنذ الفصل الأول أعلنتك بطل القلب الأوحد

ولكني أخطأت حين ارتضيت بالدور الثانوي أمامك

فاليوم لا شيء سيحول بيني وبين دور البطولة

وسأعيد بيدي صياغة مشهد النهاية؛ لأسدل ستار الحكاية قبل اكتمال فصولها

فعذراً حبيبي...

لست أنا شهرزاد الحكايا لأُقبّل يديك طمعاً في فجر جديد يعلن أني لا زلت أُغرّد مع الأحياء

عذراً... فمسرورك قد مات، ابتلعه نهر من دماء عذراوات قصرك شهريار

ولم يبق منه إلا هذا السيف القرمزي الذي صبغ بلون الدماء، فلتشهره الآن في وجهي

فعذراً حبيبي...

لم تعد أنت قصة غيبي الجميلة التي استعجلت قراءتها

ولم أعد أنا من أحببتك رهن سيف مسرورك

فها أنا اليوم أصرخ بها من فوق عرش شجرة الدُّر، لست حبيبي ولم تكن ذات يوم حبيبي

فقد لملمت ما تبقى من كبرياء الأنثى بداخلي، اليوم ألقي بآدمك من جنة حوائي

فلا أشواق بعد اليوم، ولا انتظار بعد اليوم

فمنذ اليوم لم تعد أنت مني ولم أعد أنا منك

فعذراً يا من كان حبيبي، فلم تكن أنت قصة حبي الجميلة، ولم تكن إلا هذا الحاكم المستبد الذي ألهم قلبي ثورته البيضاء.





ما زلت أذكر

ما زلت أذكر ليالي الهناء

وعهد الهوى وأيام الصفاء

ونجوم عشق باتت تناجينا

الآن ضلت طريق السماء

ما زلت أذكر طيور الحب

تشدوا أغانينا

وفرّ النغم وضاع الغناء

وليلاً كان يشتاق لفجرك

فتبعث روحك نحوه الضياء

ما زلت أذكر حباً وسراً من أسرار البقاء

ولهفة الروح والأعين

إذ كان يحين موعد اللقاء

ما زلت أذكر قلباً دافئاً

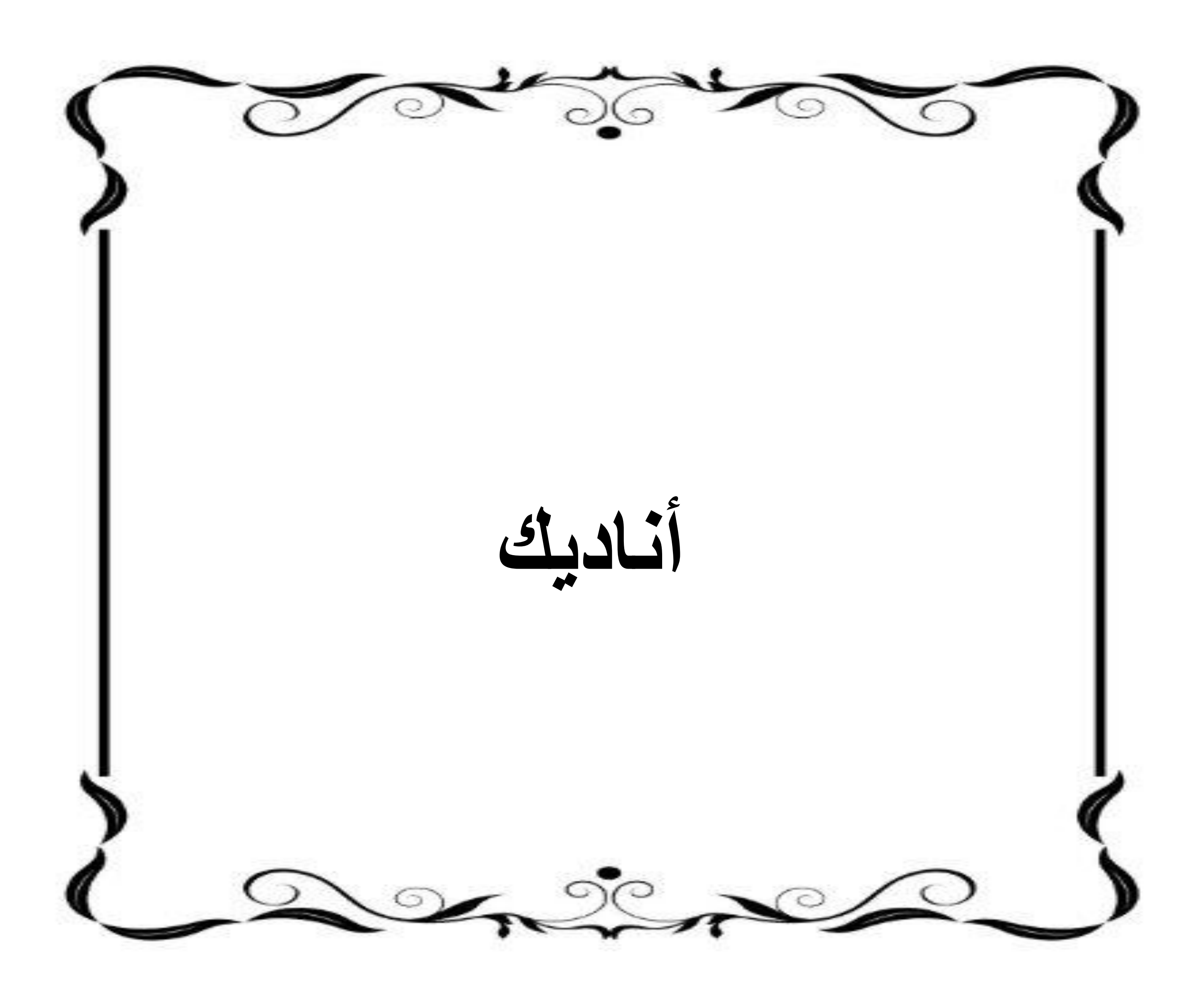
أحتمي به من برد الشتاء

ما زلت أذكر وهل لي بعدك سوى الذكرى كل الرجاء

ولسوف أذكر

فهل تعود الذكرى يوماً بعد انتهاء





أنـاديك

أناديك ومن النداء ما أشقاني

وليتك قريب تلبي النداء

قد فرّ النغم من ألحاني

والبسمة في عيني صارت بكاء

وليل السُهد صاحب أجفاني

وتجمدت في عروقي الدماء

وصار الهوى كُنا وكان

وبقايا أغاني يوم اللقاء

وأصبح الشوق والأماني

نجوم تاهت في غيوم السماء

وبات الدمع يرثي ديواني

يا طالما تغنى بك دون انتهاء

وأصبح الحب قصة بأمس

ذكراها كلها شقاء

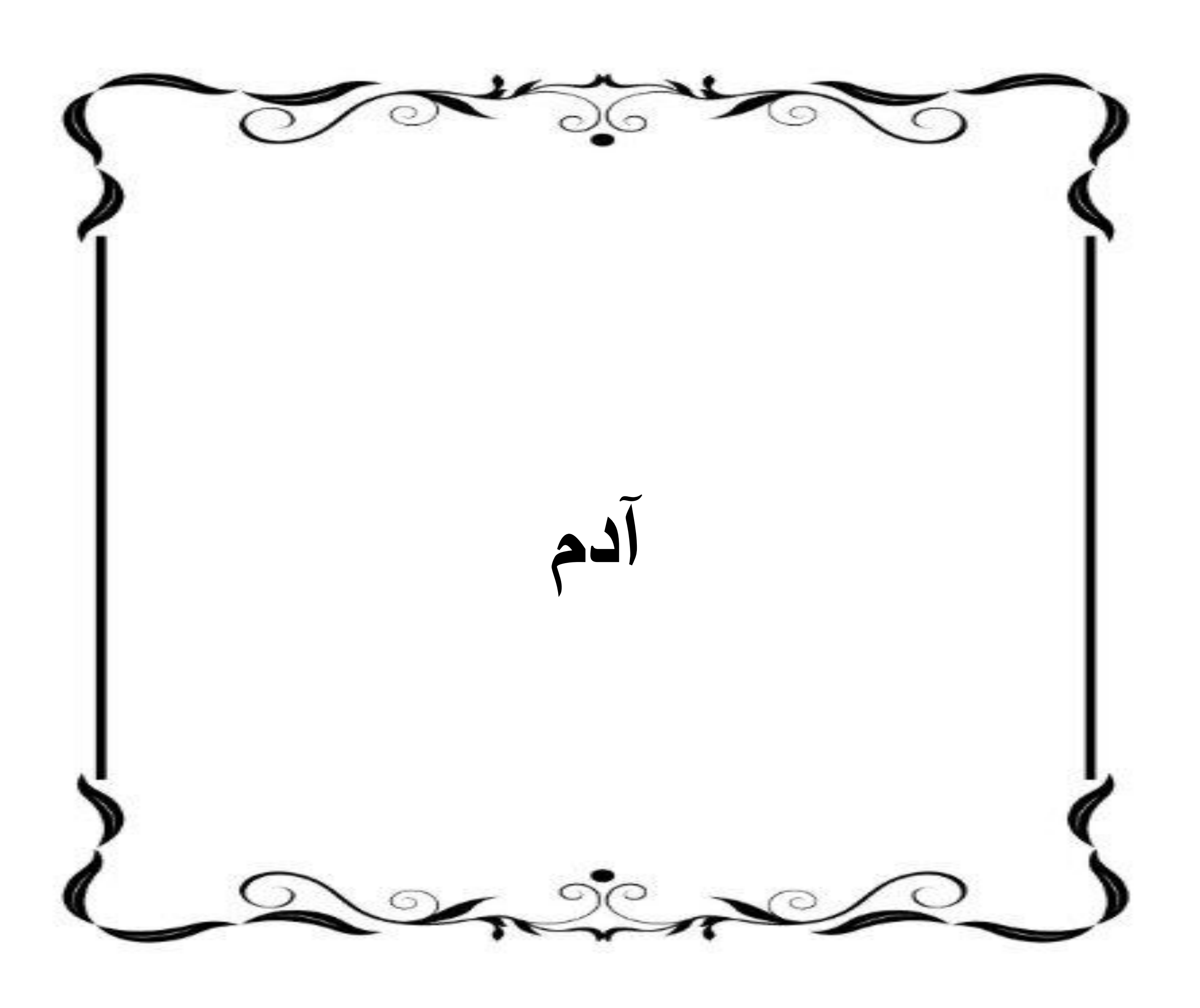
ولم يبق لي سوى أحزاني

بعد ما كان حبك كل الرجاء

وصار العمر بعدك خريفاً

ولَكَم يصعب رجوع الشتاء





آدم

أبحث عن آدم بين مسامي

بين سطور حكايا أيامي

في حقائب غربتي

في تذاكر عودتي

في ترانيم نبض العاشقين

أبحث عنه بين ذرات الرمال

وفي خيوط الشمس، وملامح الأقمار

في وردة تائهة بين صفحات حياتي

في سطر كُتب فوق جبين أقداري

أبحث عنه في صلاتي، وابتهالاتي واستخاراتي

في سطور كفي، في ودّع العرافين، وفي صفحة فنجاني

أبحث عنه في ضوء شموع كعكة ميلادي

أو اسماً يُزَيّل بطاقات أعيادي

أبحث عنه في دمعات قيس يبكي (توباد) ليلي

أبحث عنه بين أبطال حكايا ألف ليلة

وفي حبات بَرَدَ الشتاء تتناثر فوق أقدام رجل الثلج إذ يحفر تمثال حبيبته

أبحث عنه بين أطلال قصائد هجر العشاق أبياتها

أبحث عنه حرف منسي فوق أيكة الذكريات

وفوق مقاعد العاشقين تراقص أطيافها أشعة الغروب

أبحث عنه بين رُفات أسرى الحروب

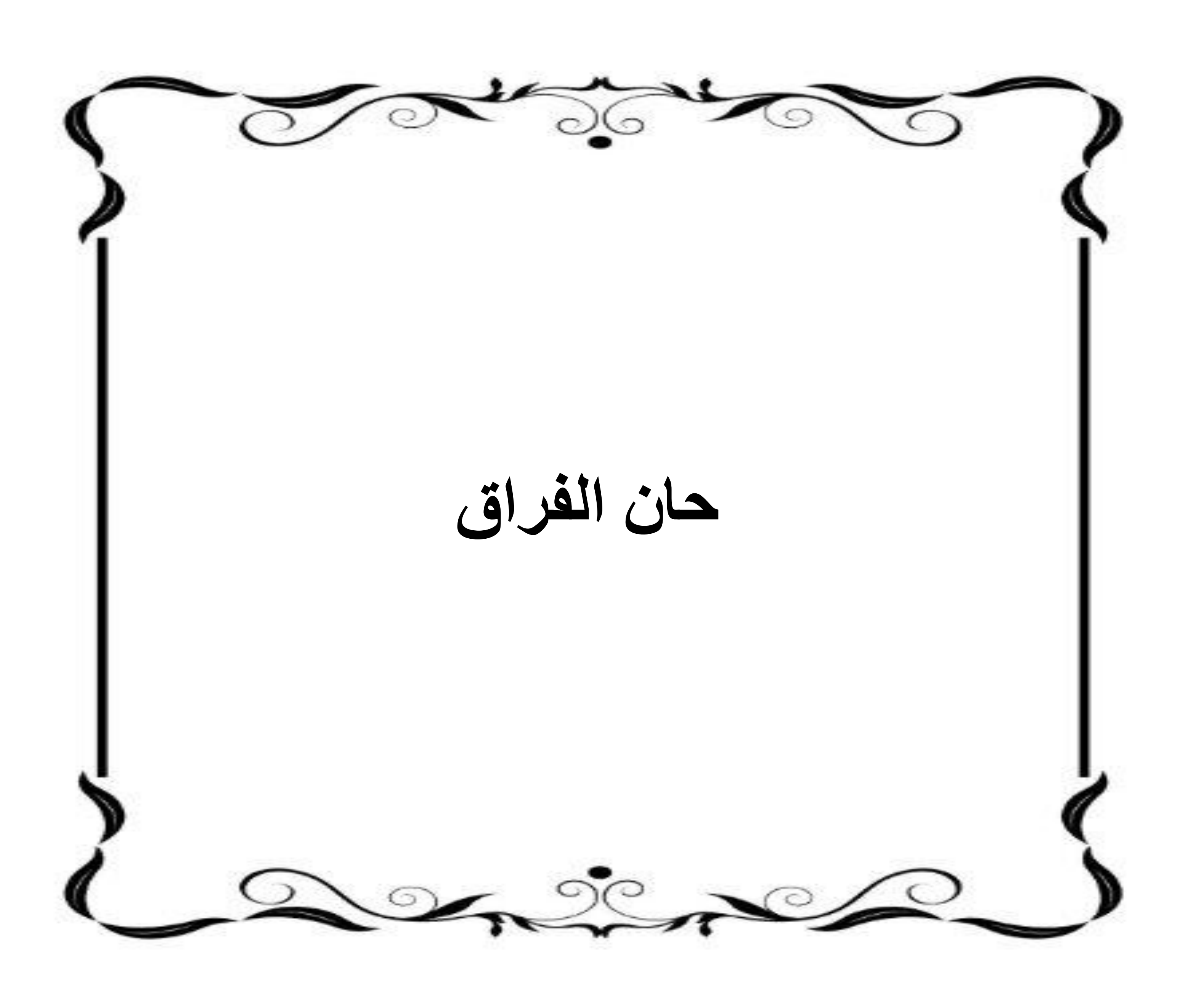
أو اسم مسجي في شهادات الأحياء والأموات

أبحث عنه ماضي عمري وحاضري، أبحث عنه في كل آت

أبحث عن آدم خُلقتْ منه ولم أسكن إليه

فهل ألقاه لألقاني!





حان الفراق

مضى ما كان بيني وبينك

وتاه دربي في بحور عينك

لا لم تعد يوماً حبيبي

ولن تشعل ذكراك حنيني

وحان الفراق

أيا من كنت رمز الحياة

وقلبك زورقي وعينيك طوق النجاة

ماجت بقلبك اليوم حياتي

وتاه في عينيك طوق نجاتي

وحان الفراق

حان الفراق وبكت دموعي

تستجديك قلب بين ضلوعي

لكني وعيني لن أعود

أقّبل يديك... أنثر حولك زهور خضوعي

وحان الفراق

حان الفراق لن يجدي بكاء

على ماضي عشق وحاضر شقاء

وسأحكي عنك كعابر لقاء

طاف بقلبي... أضاع العمر مني هباء

وحان الفراق.





غروب

رفيقي...

ها هي الشمس تغيب

تسافر في أحضان المغيب

ستختفي ملامح الأشياء

سيرحل دفء المشاعر ويهجر القلوب

سيبكي النهار لفراق شمعته

فهل ستذكرني

رفيقي...

ها هي الشمس راحلة

مسافرة إلى مدار آخر

مسافرة معها المشاعر

راحل معها الطريق

فهل ستذكرني

رفيقي...

ها هي الشمس غابت

تلاشت في الأفق كطيف بعيد

أرى ارتعاشة كيانها

أراها رفيقي تضل الطريق

فهل ستذكرني

رفيقي...

ها هي السماء فارغة

لا شمس فيها ولا قمر

لا أرى إلا حبات مطر

تبكي فراق... تعاود نداء

عودي إلى أحضاني شمسي

عودي إليّ في شتائي رداء

رفيق العمر...

لا تذكرني

بل عُد إليّ ولَبّي النداء.





رفقاً بقلبي

رفقاً حبيبي... رفقاً بقلبي

فهذا الحب كثير عليه

قد كان حبك له حلم

وصار الحلم يتجسد إليه

وكان قلبك عنه بعيد

ويراه الآن يدنو إليه

فرفقاً حبيبي إذ بكى يوماً

ويداك بالشوق تحتضن يديه

رفقاً حبيبي رفقاً بقلبي

فذاك الحب كثير عليه

رفقاً بشوق أبكاه كثيراً

وصار فرحة في عينيه

فرحة تتراقص إذ رأى قلبك

قلبك حبيبي يرنو إليه

فيصير الشوق إليك لقاء

بل حقيقة حلم تجسد لديه

فرفقاً حبيبي إذ بكى يوماً

ويداك بالشوق تحتضن يديه

رفقاً حبيبي رفقاً بقلبي

فذاك الحب كثيراً عليه

رفقاً بنبض اشتاق كثيراً

لعناق قلبك وكان عسيراً

ويراه الآن يحتضن دقاته

فيصير القلب إليك أسيراً

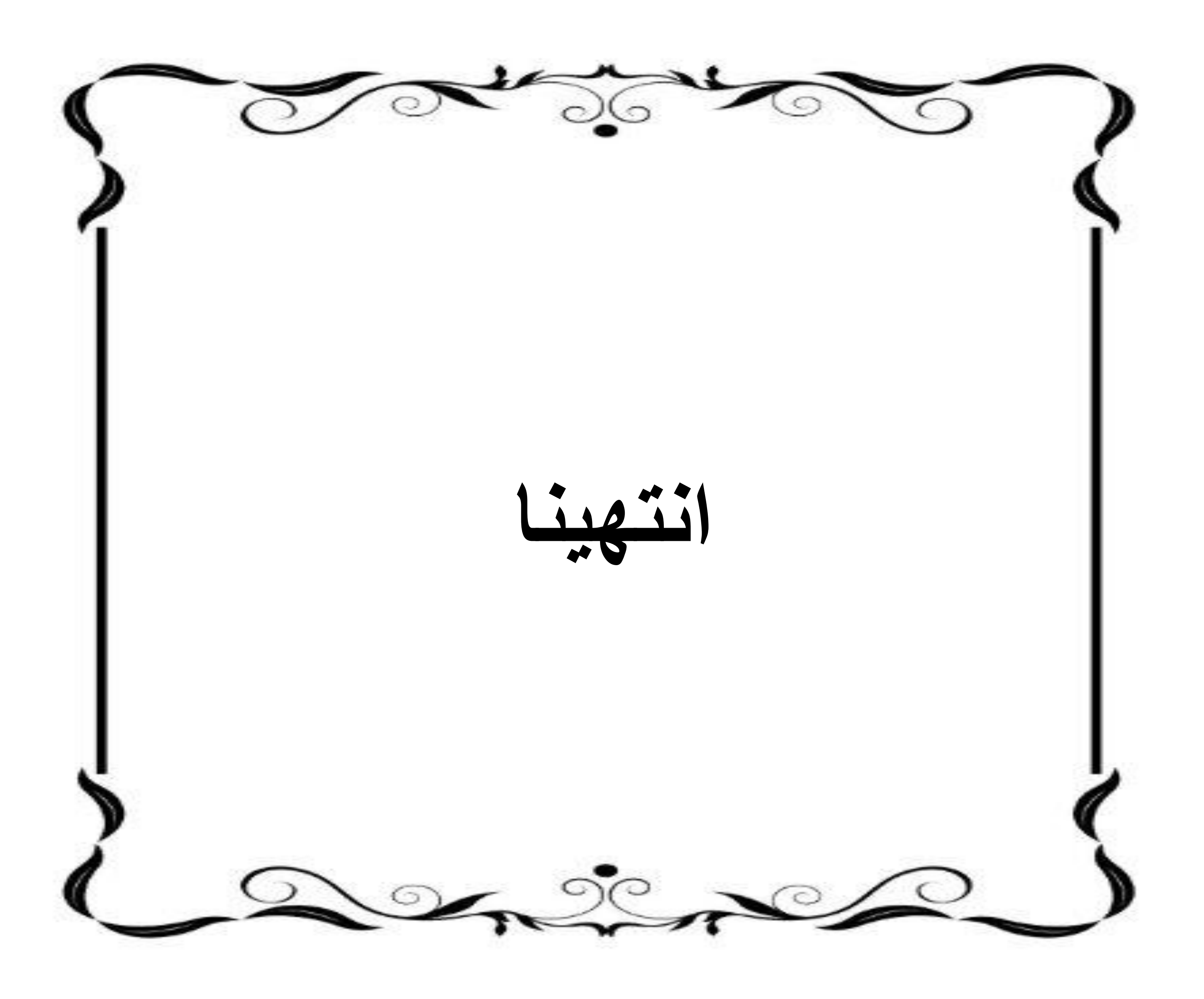
فرفقاً حبيبي إذ بكى يوماً

ويداك بالشوق تحتضن يديه

رفقاً حبيبي رفقاً بقلبي

فذاك الحب كثير عليه




انتهينا

انتهينا... انتهينا

عدت أنا من حيث بدأت

انتهى بيننا حب

وفي حبك يا... كَم بكيت

فاذهب بقلبك وتوارى أبداً

ولتعد لدربك من حيث أتيت

أحلام الماضي كانت لنا

تراقص شوق في دربنا

وصار الشوق إليك شوكاً

يدمي ذكرى كانت لنا

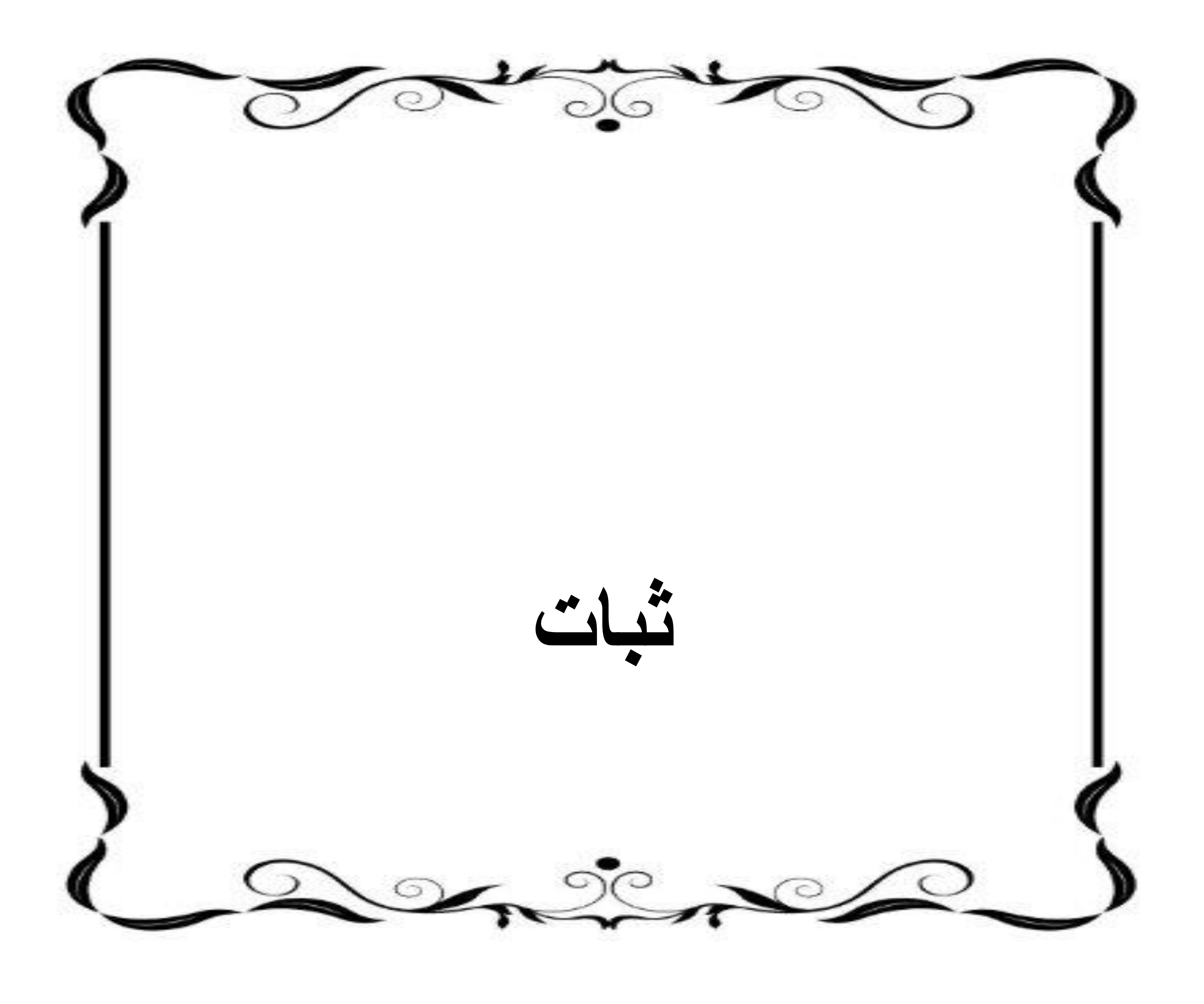
انتهينا حبيبي... لكنني لا أبكيك

وفي القلب أمل ما زال يبقيك

انتهينا اليوم وتنائينا

لكني بقلبي... لا أنهيك





ثبات

تعطّلت حركة المرور في الميدان الفسيح فترة من الوقت في ظهيرة أحد الأيام، ومن بين سرب السيارات الواقفة أو المعطلة بسبب هذا الازدحام...

كانت تجلس في السيارة على بُعد مسافة قصيرة منه، ولكن مئات المسافات الأخرى كانت تفصل بينهما، مسافات لا يعرف عنها شيئاً...لا يشعرها، ولم يحاول يوماً محوها

فيكفي أن قطار الحياة لا يحيد عن طريقه المرسوم بدقة تصل إلى حد (الثبات)

روتين قاتل يؤرق طبيعتها الشاعرة

أزعجها صوت صرخاته التي بدأت تتعالى اعتراضاً على الزحام، وعدم التزام المارة و قائدي السيارات بقوانين المرور إلى حد كانت تتداخل فيه ونفير السيارات من حولهما

وتمنت أن يصمت قليلاً، أن يستعيد بعضاً من هدوء ذاته الذي اعتادت أن تصادفه في شخصيته لدقائق معدودة سرعان ما تتبدل تلك الملامح الهادئة إلى ملامح أخرى لا تعرفها

كانت تتعالى صرخاته وكانت في عالم آخر لا تعبأ بكل هذا الصخب والضجيج من حولها

من حين إلى آخر تُلقي نظرة فاترة على تلك السيارات الواقفة أمام سيارتهما والتي تحوطها من كل جانب

وقد شرد خاطرها بعيداً يحلق في هذا الفضاء الرحب، يحاول أن يخلق لها واقعاً آخر يشبهها بعيداً عن هذا الواقع المزدحم بتفاصيل لا تعرف شيئاً عن الحياة إلا أن تغتال كل ما ينبض بالحياة

هي لا تعرف لما خلقت في هذا العالم! أم أن هذا العالم لم يُخلق لها، أم تراها ضلت طريقها في رحلة بحثها عن هذا الذي يجلس بجانبها قابضاً على عجلة القيادة بكلتا يديه وفي عينيه نظرة تمتلئ بالحذر خوفاً من أن يضل الطريق وسط هذا الزحام المكتنز بتلك الهياكل الحديدية ونفيرها الصاخب الذي يخترق أجواء الفضاء؛ ليقطع عنها أحياناً رحلة شرودها

تتذكر كيف كانت قبل أن تلتقيه وتتزوجه، كانت مزيج بين حالة الحلم واللاواقع

تعشق تلك الروايات المليئة بتفاصيل العشق والوفاء.

كانت تشعر في رحاب سطورها بأنها لم تزل إنسان ينبض ويشعر بدفء الحياة

تتذكر تلك الحالة شديدة الخصوصية التي تمتلئ بالرومانسية والتي كانت تطلق عليها حالة الاكتمال

لحظة يكتمل أحدهما في الآخر.

تلك الحالة التي لا تكون إلا بين اثنين يمتلئ كل منهما عشقاً وفهماً وانصهاراً في الآخر

هذا الآخر الذي حين يَعشق ويُعشق يولد من جديد طفلاً يخطو أولى خطواته نحو الحياة

يتلمس ملامحها لأول مرة، لا يعرف شيئاً عن قيودها، لا يعرف غير أن يعيش ويعيش وكأنه يحيا مع ذاته أمام ذاته بلا خوف أو خجل.

تمنت أن تعيش معه هذه الحالة الخاصة التي لم تحيها إلا في خيالها، فهذا الذي تحبه وذلك الواقع الضيق الذي تحاول الفرار منه صار يشبه كل منهما الآخر

تذكرت هذا رغم أحزانها التي تحاول أن تخفيها حتى عن نفسها، نفسها التي باتت تغترب عنها شيئاً فشيئاً

ما الذي أوصلها إلى تلك الحالة من الغربة الذاتية!

ألا يكفي غربة طويلة تحول ما بينها وبينه

نعم هو عشقها الأوحد، لكنه أيضاً زوجها الذي يعجز عن فكّ طلاسم روحها؛ ليصل إلى ألمّ يكسو ملامحها

فهو لم يكن يوماً بقدر وجعها بل لا يريد أن يفهمها.

يوم التقيا هدأت روحها

كانت على يقين أنها ستحيا معه كل تلك المشاعر واللحظات الدافئة التي اختزلتها داخلها حتى تلقاه، ولكن هل تأتي الرياح بما تشتهي سفن أمنياتنا.

*كانت تعشق تلقائية روحها، تمنت أن يفهم هذا لا أن يتحول إلى قائد لا يعرف غير اسلوب النقد وسياسة الثواب والعقاب

والصوت الحاد.

*كانت تعشق هذا الكون بكل تناقضاته بكل تحولاته، تعشق هذا الفجر الذي خلق من رحم الليل، وهذا القمر الذي يرحل في صمت وايثار ليهب لنا شمس وميلاد جديد

حتى البحر كانت تعشقه في سكونه الذي يشبه روحها وفي ثورته التي تشبه أحزانها

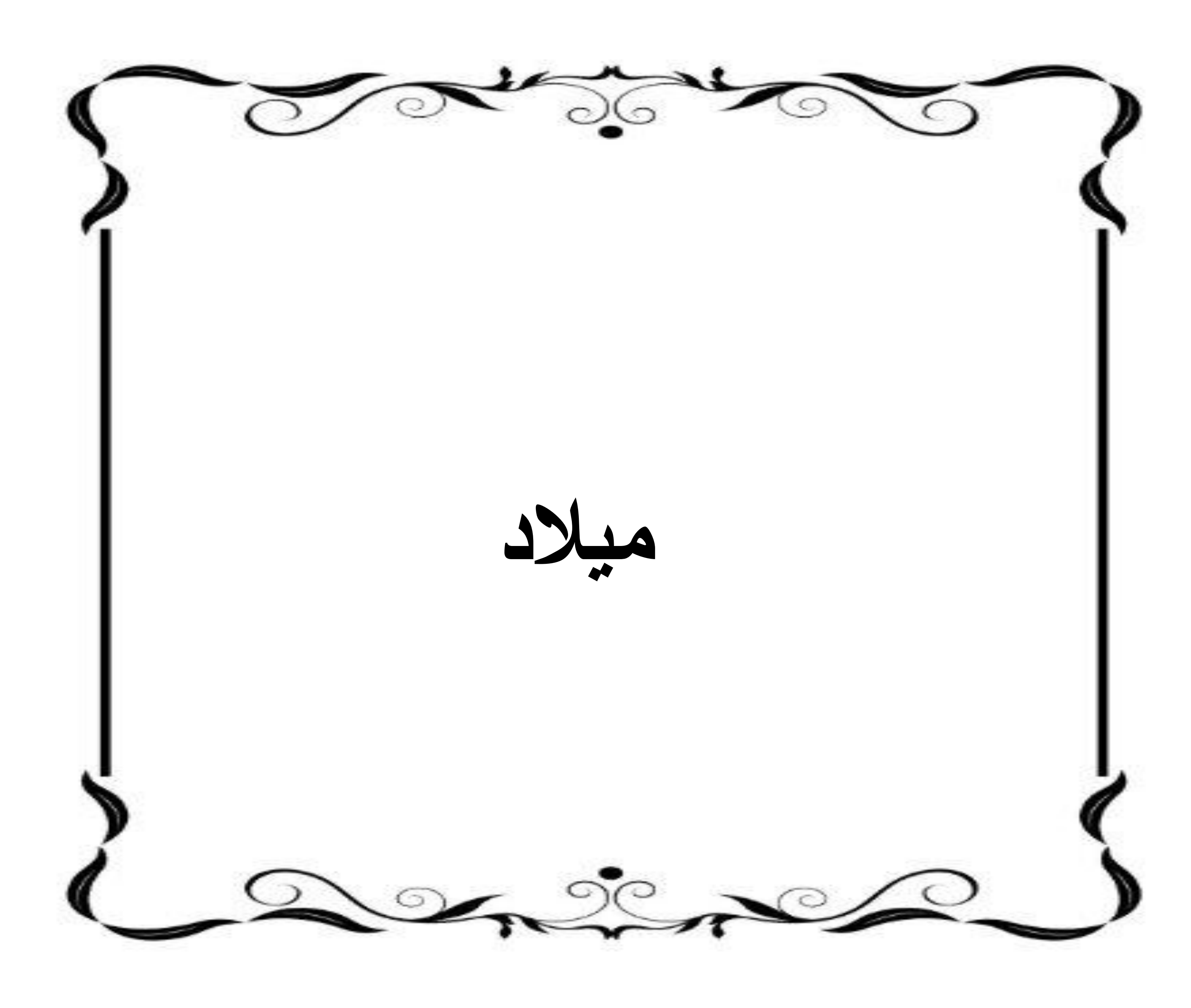
كانـت تعشـق كـل شــيء فــي تلـك الحيــاة صــغيراً أو كبيــراً، فيكفــي أنــه ينبض بالحياة

*وتمنـت أن يـرى فــي عينيهــا تلـك النظـرة التــي تشـبه نظـرة طفلتهمــا، حــين كانــت تريــد أن تُطعـم إحـدى قطـط الشــارع والتــي تمتلــئ عينيهــا بنظـرات الجـوع والخـوف والـذي لـم يكـن يختلـف كثيـراً عـن خوفهـا مـن تعليقاتــه الســلبية الســاخرة مـن مشــاعرها الطفوليــة (معقـول هنقـف فــي الشارع نأكّل قطط كمان)

كانت تلهث جائعة وتمنت أن تطعمها ولكن...

تلك السطور هي ما حال بينها وبين ذلك.





ميلاد

هي وحدها... لا شيء معها غير ذاتها

وبقايا من عطره الأثير تلملمه كعادتها كل صباح

بعد أن يودعها للذهاب إلى عمله

تاركاً فوق شفاهها قُبلته المعتادة وبقايا من هذا العطر الذي تحتضنه

علّه يتخلل مسامها الباردة فيدفئها

هي دائماً في حالة شوق إليه

يملأ خاطرها حتى وهي تقوم بطقوسها اليومية في ترتيب المنزل

وحين تضع الأزهار الملونة في أحضان أوانيها

وحتى عندما تفاجئها آلام المخاض اليومية

فهي دائماً في حالة ميلاد مع كل قصة جديدة تكتبها تشعر وأنها وليدها الأول وأنه هو الأب الشرعي له

هو ملهمها... بطل كل خواطرها

تراقصه كل يوم فوق مسرح أوراقها، ورغم حذرها وخوفها الأمومي الزائد وحرصها ألا ينتهك أحد خصوصية أفكارها وكتاباتها لحين اكتمال عملية الميلاد، كان هو من له الحق في لمس سطورها وقراءاتها بِكراً كما هي بدماء المخاض، وبدون أية رتوش ولا أية لمسات فنية.

كانت تستمتع وهو يقرأها وقد امتلأت بعلامات (إكس) وكان يتعثر في قراءة بعض السطور المليئة بتلك العلامات التي تتدارك أخطائها، وكأن سطورها عشقت التعري أمامه وأن يراها كما هي دون أية مساحيق تجميل، وكان يعشق ذلك الإحساس

يشبع كبرياءه؛ فهو صاحب اللمسة الأولى لدفاترها وأول من كشف عذرية كلماتها

هو ليس غيره من يتلقى بيديه مولودها الأول

ولكن هل كان يستمتع معها بتلك اللحظة أم إنها غريزة التملك التي تجعله ينتشي بامتلاكه كل شيء فيها حتى خواطرها

ورغم أن عمله وطبيعته الشخصية بعيدة كل البعد عن طبيعتها

فهي رومانسية حالمة وهو واقعي وعملي إلى أبعد حد

هي كانت ترى لحظة ميلادها مع كل قصة أو قصيدة جديدة

بينما يراها في حل إحدى المشكلات البرمجية التي تعترض عمله في مجال تحليل نظم المعلومات وتطوير برامج الحاسب الآلي، ورغم اختلاف رؤيتهم كانت تشعر في كل مرة يتلقى فيها مولودها أنه يولد معه من جديد، وكأنه تمنى أن يكون شخصاً آخر غير هذا الشخص الذي لم يعرف غيره طوال أربعون عام.

كثيراً ما حاولت أن تقرب المسافات فيما بينهما

أن تتوحد لحظة ميلادهما

وكانت تنجح مرة وتخفق آلاف المرات

فهي ليست مسافات زمانية أو مكانية ولكن مسافات نفسية وما أصعبها فيا كم أرهقتها محاولاتها العبثية لتقريبها

كانت تحاول جاهدة أن تحرره خارج أسوار واقعه اليومي

أن يتجرد من مسؤولياته ولو للحظات قليلة؛ ليغرد معها بعيداً خارج أقفاص روتين الحياة

أن ينفض عن كاهله أعباءه اليومية على أعتاب دفاترها

تدعوه للدخول إلى عالمها الافتراضي ليستمتع معها بلحظات من الخيال والرومانسية

وكان يستسلم لأمنياتها... تتشابك أيديهم في غفلة من واقعه يتسلل معها بحذر وتردد... يتوارى معها خلف ستار السطور

يتلفت يميناً ويساراً على استحياء يخشى أن تراه مسؤولياته، فتحاكمه بتهمة الإهمال المتعمد

وكانت تطمئنه، فليس لتلك الأعباء والهموم أن تخطو أعتاب دفاترها، فعالمها مختلف مليء بحكايا الخيال

وبالأزهار والأطيار والأنهار وأواني العطور

وفرسان وجميلات العصور الوسطى، وتمنت أن يرى تلك اللوحات حتى لو في عالم من الخيال

تمنت أن ينصهرا أن يذوب فيها وتذوب فيه

لكنه لا يزال خائفاً ينظر خلفه

في المساء وبعد أن انتهت آلام المخاض هرعت إليه في غرفة المكتب تقّبله وعلامات السعادة ترتسم فوق ملامحها (أخيراً أنهيت قصتي)

وكانت ترتسم فوق ملامحه علامات تشبه ما كان يعلو وجهها

فسعادته سعادة من كان يحمل عبء ثقيل وتحرر منه

تأكدت من هذا حين كشف لها عن سر سعادته (أخيراً انتهيت من حل مشكلة برمجية جديدة)

أغلقت دفترها... تركت ذكراها اليومية فوق شفاهه وذهبت تبحث عن لحظة ميلاد جديدة.





بصيرة

كـان يتبـاهى بقدرتـه علـى معرفـة كـل مـا يجـول فـي خـاطر مـن حولـه، وأنـه يمتلـك بصـيرة ثاقبـة تسـتطيع أن تنفـذ إلـى أعمـاق البشـر فتكشـف لـه كل أسرار القلب والروح،

ورغم ذلك كان يتعامل بحذر مع من حوله

حتـى هـي... مـن يطلـق عليهـا صـديقته أو كمـا يناديهـا فـي لحظـات صفاءه مع نفسه (توأم روحي)

كان يتعامل معها بنفس الحذر

حاولت جاهدة أن تقرأ ما بداخله وأن تعرف السر وراء هذا الحذر

ولم تنجح إلا في طرح الأسئلة

هـل وحدتـه الاختياريـة التـي يلجـأ اليهـا بكامـل ارادتـه وينعـزل عـن كـل من حوله حتى في أشد لحظات احتياجه إليهم!

أم هـي ضـريبة كشـفه لمـا يتـوارى خلـف أسـتار الـنفس البشـرية فبـات يقرأ كل ما بداخلهم ويخشاهم بل يمقتهم أحياناً!

فـي أوقـات كثيـرة وفـي لحظـات تخليـه عـن وحدتـه كـان يحـدثها بأنـه يـرى النـاس أمامـه وكـأنهم عرايـا مـن كثـرة مـا تسـلل إلـى داخـل عقـولهم وقلوبهم

فكشف أسرارهم وقرأ ما يفكرون به

ولـم تعتبـر مـا حـدث معهـا مصـادفة رغـم محاولتهـا المسـتمرة لإقنـاع نفسها بهذا

فكثيـراً مـا كـان يحـذرها مـن أشـخاص تفتـرض هـي فـيهم الطيبـة وصـفاء النية

وتمر الأيام وتكشف عن حقيقه ما بداخلهم

وحين كانت تلقاه لا تملك غير أن تعترف بهذا

كان يلومها.. كيف لم تصدق ما كان يؤكده لها عنهم!

ومن جديد يبدأ في عبارات التباهي والتفاخر ببصيرته الثاقبة

وأنه قد سبق الأيام في هذا الكشف الخطير عن معدن البشر

وكأنه صحفي تحت التمرين قد اقتنص لتوه سبق صحفي

وكانت تضحك داخل نفسها على استحياء كيف وهي الصحفية الماهرة لا تمتلك تلك القدرة على كشف حقائق الأمور

قد يكون عمله في مجال الطب النفسي هو الذي أتاح له هذه الفرصة لقراءة سطور النفس البشرية

ولكن...

كيف يكون بكل تلك القدرات ورغم ذلك لم يقرأ ما تخبئه داخل قلبها الذي

امتلكه لأكثر من عامين

كيف أضاع هذا الوقت من عمرها في سنوات من التساؤلات الحائرة والافتراضات القلبية

وساعات انتظار قاتلة

وأمل يائس في بوح ملّت انتظاره

كيف لم يتمكن من ترجمة تعاملاتها معه والتي كانت واضحة لكل من حوله!

ولا تحتمل أية تأويلات غير أنها تحبه ولا شيء غير أنها تحبه

أيكون قرأ ما بداخل قلبها لكنه يخجل من مصارحتها

أيحمل لها نفس المشاعر لكنه يخشى لحظات البوح

أم أنها ليست إلا صديقته الغالية وتوأم روحه كما يؤكد لها دوماً

فيخشى حين يصارحها بما داخله أن يتورط في علاقة حب ليس مؤهل لحمل عبئها الآن

ولم يضعها على أجندة اهتمامات حياته

أم أن هناك امرأة أخرى قد انشغل عنها بقراءة سطور ما بداخلها

أسئلة كثيرة دارت بخاطرها في لحظة واحدة

وعلامـــات اســتفهام لا زالــت تتــراقص أمـــام عينهـــا... تؤرقهـــا، تثقــل قلبها، ترهق عقلها

لكنها قررت أن تتحرر من أسوار حيرتها

فــي مســاء هــذا اليــوم الملــيء بالتســاؤلات كانــت أمامــه تتمــدد فــوق (الشــيزلونج) وفــي حركــات روتينيــة متتابعــة أدار المســجل وجلــس ينظـر إليهـا مـن خلـف نظارتـه الطبيـة الـذي اعتـاد أن يـرى كـل مرضـاه من خلالها

ممسكاً بأجندته وقلمه

وســؤال تقليـدي حاولــت جاهـدة ألا تســتمع إليــه (تحبــي نبــدأ مشــكلتكِ منين)

أنتهـى السـؤال لكـن دمعـات تسـاقطت كنهـر صـغير حـائر جعلـت لسـانها يتوقف عن الجواب.





محاكمتي

ادّعوا كذباً على قصصي وكتاباتي...

أنها تمس الدين والقيم والأخلاق

وبأنني ملعون ولعنتي شعري

وقدري أن أحمل أوزاري ليوم الدين فوق أعناقي

وبأنني أُشَرِّع قوانين العشق والهوى

وأؤرخ لقصص من رحلوا من العشاق

وبأنني لم أكتب في السياسة يوماً

ولم أحمل لساستي مباخر الكذب والنفاق

وبأنني خرجت عن دستور بلادي

حين كتبت عن حاكم عاشق ترك العرش خشية فراق

وبأنني لم أرضَ أن أُزيف تاريخ عروبتي، ولم أكتب في تمثال حريتهم غزلياتي

فهل الحب في عُرفكم ذنب أُقاضى عليه دون رفاقي!

أليست الكتابة عن التاريخ جريمة ضد الدين والأخلاق!

وكيف لمن يُسبِّح باسم صنمهِ أن يأمر قصائدي لتُخضع له الأعناق!

فأن قصائدي حرة لم تسجد يوماً لغير الله الأحد

ووزري أني لم أهدِ ديوانٍ إلى صنمٍ ولم يفهم الطغاة مغزى أشعاري

فظنوا أن بين سطوري أُعلن مفاسدهم، أعلق مشانقهم، أؤرخ لمحاكمتهم

وما سطوري إلا أودية وشموس وأنهار وأشجار

فلتكفـوا أنــتم عــن قــراءة أشــعاري ولا تلمســوا أوانـــي العطــر وباقــات زهور أبطالي

فتلك أشياء مُحَرّمة عليكم

أنتم عبيد أوثانكم

اكتبـوا تقـارير الفســاد عنــي وارفعوهــا لســاداتكم، فـدفاتري لــن ترحــل وتغادر بلادي

وهل سمعنا عن قصيدة نفيت أو ديواناً طلب اللجوء!

فمــن أنــتم يــا هــؤلاء! ومــن نصــبكم قضــاه تبتّــون فــي قضــايا الــورق والأقلام

فتمهلوا وحاكموا أنفسكم قبل أن تسارعوا إلي لتحاكموني

واستعيذوا بالله من شر شيطانكم هذا الملعون

وحطموا أوثانكم وتواروا ما بين أقواسي وفي تورية مضموني

واقــرأوا مــا بــين ســطوري وكتبــي قبــل أن تحملــوا أحجــار قلــوبكم وترموني

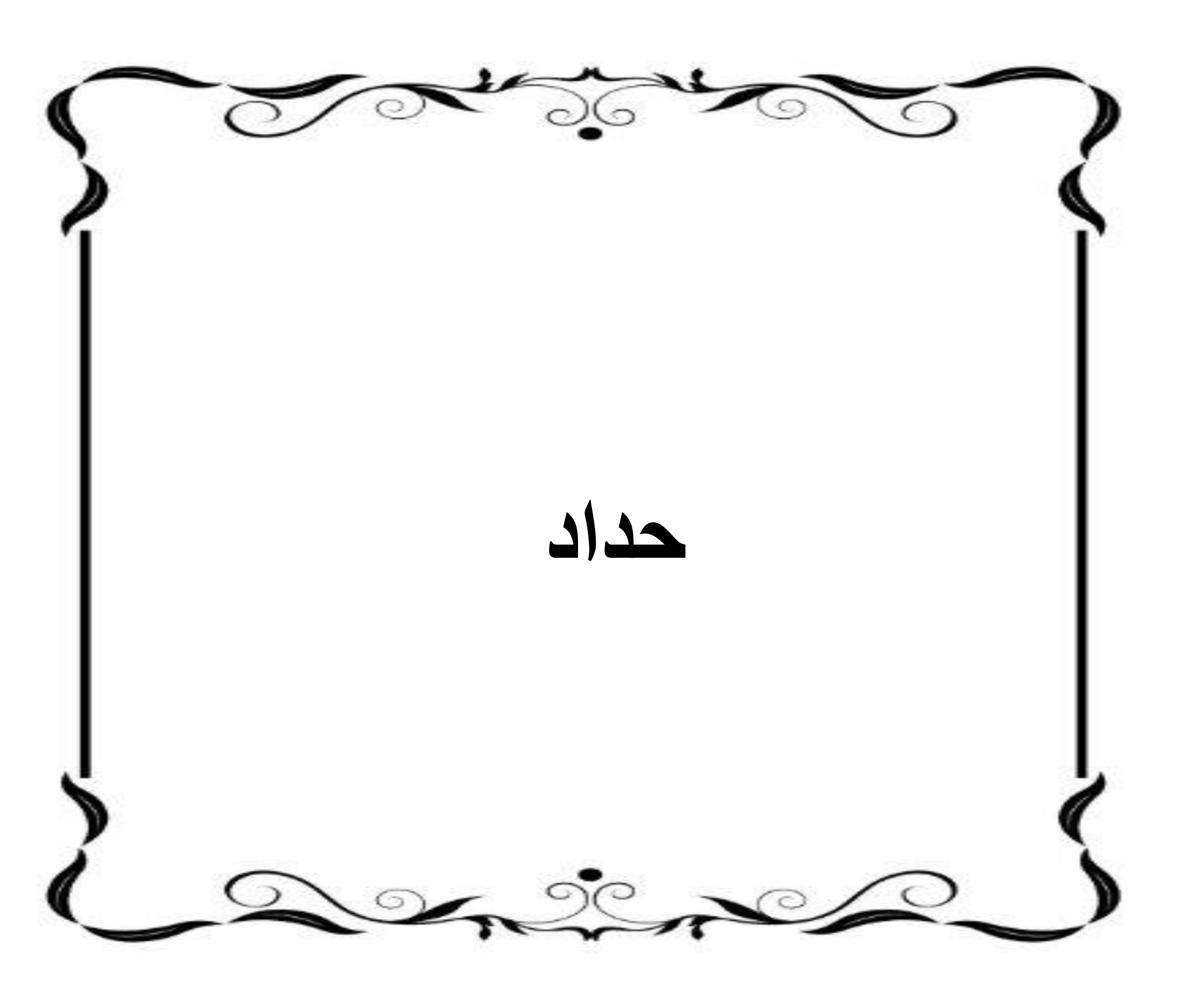
ولا تنسوا أن تخلعوا نعالكم قبل الدخول إلى مُدن أشعاري

وتوضأوا ثم اقرأوا فاتحة ديواني

فبسم الله أبدأ

وهل منكم من يحفظ الأذكار!




حداد

نظرت إلى يديها التي تسيل منها دماء الرفقاء... وتعجبت!

فلم تزل كفيها تحتضنه بإصرار وعزيمة لم تخفت

يرفرف بألوانه الثلاث التي لم يشغلها منها غير هذا اللون الأسود الذي اختزل داخل ذاكرتها مرارة ثلاثون عاماً من الفساد واللاآدمية

أما هذا اللون الأحمر فهو ما تبق لها من رفقاء الميدان

لم يزل يتساقط بين يديها والتي باتت لا تشعر بها

ورغم ذلك...

تحاول أن تصمد، ألا تستسلم لارتعاشة أحزانها

تتشبث به ويتشبث بها خوفاً أن يسقط أرضاً فيسقط وطنها

فهو وطنها الذي لم تزل تتشبث بأرضه وتتمنى أن يتشبث بها بدلاً من صك الغربة الذي أعطاه لأخيها؛ ليهاجر خارج البلاد منذ سنوات.

لا زالت بالميدان تتفرس وجوه الرفقاء من حولها وأرضه الملطخة بالدماء

تحاول أن تبحث عن اللون الثالث المفقود في العلم

فلم تزل الحرية حلمها الصغير الكبير

نجم لم يولد في سماء وطنها رغم كل هذه التضحيات

تتذكر اليوم هذا المشهد الذي لم يزل عالقاً في ذاكرتها رغم مرور أعوام على الربيع

وهي مارة بجانب الميدان، في طريقها لحفل تأبين الشهداء.

الميدان خالٍ... إلا من لافتات الإغلاق للترميم

أبكتها الكلمة كثيراً، وكأنها إدانة للثورة البيضاء التي أطلق عليها حملة مباخر النفاق؛ هوجة تخريب.

أكملــت طريقهــا تتســاءل هــل اليــوم ذكــرى تــأبين الشــهداء! أم الثــورة التي شيعوها إلى مثواها الأخير

فشيء ما بقي تائها ومفقودا... منذ ذلك اليوم.





البرواز الخالد

انعقد لسانها حين فاجأتها بهذه الجملة التي وقعت على سمعها كوقع زلزال قوي

تعرف لن تنتهي تبعاته اليوم

(ما بالك قابعة في هذا المنزل كهذا البرواز الخالد)

وأشارت بإصبعها إلى لوحة الموناليزا النائمة في استسلام منذ مئات السنين داخل إطارها المذهب

وبيدٍ أرعشتها برودة الكلمات حاولت أن تلملم دمعات انسابت رغم عنها لتخبئها داخل مدن عينيها

تلك المدن المحرمة على كل من حولها،

فهي تربأ بضعفها

ترفض أن تمتد أيادي من حولها لتربت على كتف قلبها

فبرغم إحساس مرهف يمنعها أن تتحكم في انسياب تلك الأنهار الصغيرة في عينيها

كانت تصارع هذا الاحساس الذي تحبه وترفضه في آن واحد

فهي تعشق رومانسيتها وتكره لحظات ضعفها

تجتهد ألا يضع أحد يده قريب كان أو بعيد على نقاط ضعفها

كانت تعشق خصوصيتها

ترفض أن ترفع الستار عما بداخلها من أحزان وآلام

حتى سعادتها كانت تحتفظ بها داخل غرفة قلبها

(الصندوق الأسود) الذي يحمل كل أسرار روحها

وقد يكون هذا دافع عشقها للكتابة

فهي تعشق كل ما هو صامت، كل من يمتلك لغة أخرى بعيدة عن لغة الحوار البشري

كانت تراها بمثابة عالمها الافتراضي... تأوي اليه لحظة يضيق بها واقعها

كانت تراها حوار جدلي صامت بين الكاتب وقارئه

يتسلل كل منهما داخل الآخر في هدوء وانسيابية

بعيدا عن صراعات واحتدامات اللقاءات والحوارات البشرية

وحدها قطتها مسموح لها بالقرب من عالمها

مسموح أن ترى تلك الأنهار الخفية في عينييها

فكانت تهرول اليها وفي عينيها الصامتة نظره تمتلئ ببراءة قد فقدها العالم من حولها

نظره تمتلئ بمئات علامات الاستفهام

وكأنها تريد أن تعرف ما سبب تلك الأحزان التي تراقص ملامحها

تقفز فوق قدميها ... تموء بلغة خاصة لا يعرف فك رموزها غيرها

فكانت تمد يديها ... تمسح فوق رأسها الأبيض الصغير لتهدأ ولتطمئن أن صديقتها بخير

فتهدأ وتغمر رأسها في استسلام داخل أحضانها والتي هي بمثابة عالمها المطمئن

كانت تراها أوفي من كل صديقاتها

حتى التي أبكتها اليوم وزلزلت جدران قلبها

أهكذا تراها مجرد ملامح إنسانة تقبع داخل برواز خالد

ملامح تنبض بالحياة ولكن داخل إطار ثابت لا يعرف معني الحياة

ثبات يحاصرها ... يخنقها ... يقتل ما بقي حيا بداخلها

فقد تمنت أن تحيا معه حياة أخرى

كعصفور طليق يحلق في أجواء العشق والحب

يرفرف بجناحي حريته

تلك الحياة التي باتت تنسحب من داخل شرايينها رويدا رويدا

حتي باتت تفقد معنى كل شيء

لا تملك شغفا لشيء

ولا تنتظر أي شيء

هذا العصفور القديم الذي ملأ سماء الدنيا شدواً صار اليوم سجين وحدته

يغرد لحنه الباكي داخل قفصه المذهب

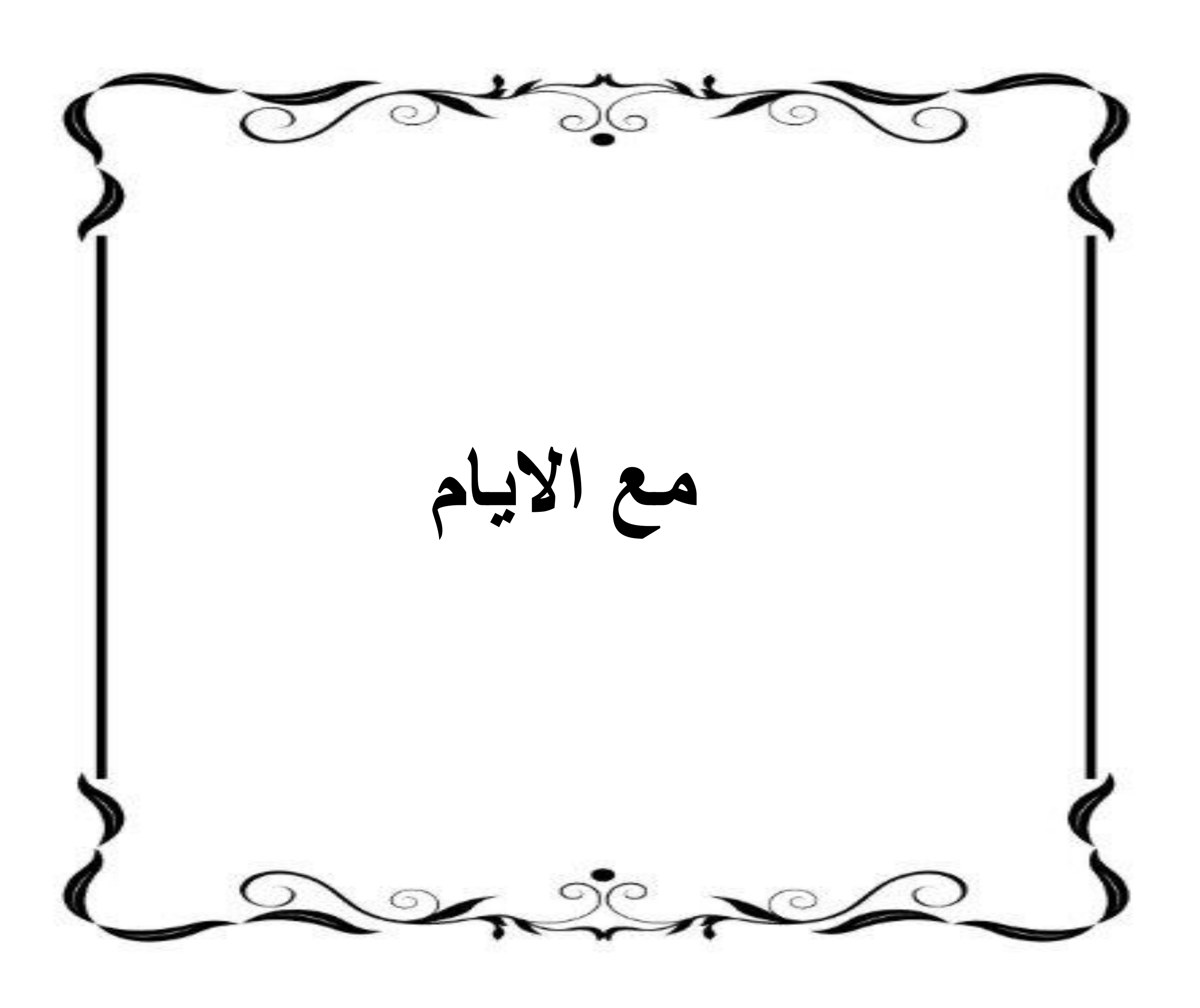
فليست جملة صديقتها التي أبكتها... ولكن

محض حقيقة تهرب منها منذ صارت سجينة هذه الجدران الأربع

فحين ينحصر كون العصفور داخل قفص من جدران لن تعود الحرية تعني له شيء

بل قد تتحول الي حاله من التخلي عن عالمه الذي اختزله سجانه داخل هذه الجدران





مع الايام

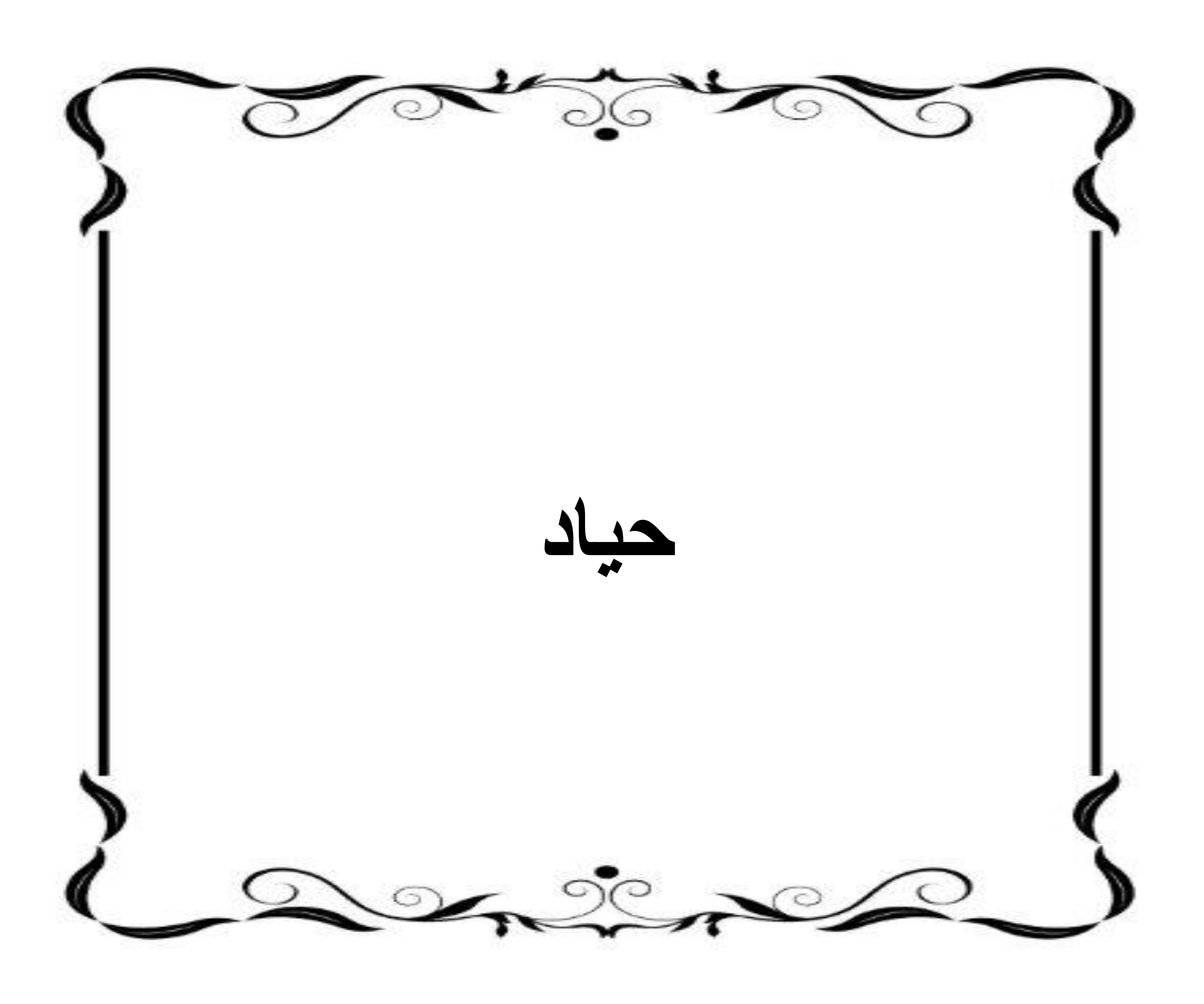
التقينا... فأيقنت أنه لا زال لبقائك وبقائي معنى
وأن ألوان السماء السبع لا زالت ترسم لوحة قوس قزح
فتتناثر حبات بَرَدَ الشتاء، تذكرنا ألا نسيان
فلا زال رجل الثلج يحفر تمثال حبيبته الراحلة
وأن المطابع لا زالت تؤرخ قصص العشق
في زمن منعت فيه كتب الحب
ولم نعد نبتاع غير كتب السياسة
التقينا فتناسيت ما كان قبلك
وفقد تاريخي ذاكرته
فلم أعد أحيا غير لحظة اللقاء
لحظة تحتضن يداك يدي
فأتعلق كالعصفور بين ذراعيك لنرقص رقصة حبنا الأولى
تهمس عيني أين كنت من ظلام أيامي
فكم انتظرتك ليغرد قلبانا لحن حب نأمله أبدي
ترسم ريشة الأمل لوحة عشق نأملها خالدة
نتواعد... نتعاهد... وقد تتوعدنا الايام؛ فنفترق
وتمضي أنت وأمضي أنا، وتعتصر قلوبنا ألما للفراق
وتحترق كل سفن أمنياتنا
وتميد بي أيامي فأسدل بيني وبين الحاضر أستار ذكرياتنا
وقد تهدينا الأقدار من نحب
وتعزف الكؤوس لحن عرسنا
فنتوه ويتوه منا الحب حين تأخذنا دوامة الحياة

حين يشيخ طفلا كان يحيا داخلنا يوما اسمه (قلب)

فليتني علمت أن لا شيء مع الايام يبقي حبا

وأن لا حب بقي حب مع الأيام





حياد

تتشابه الأيام حتى بت أفقد هوية ذاتي

لم تعد قدمي تلامس أرض

ولم يعد في استطاعتي أن الملم تلك النجوم النائمة بين أحضان السماء

فها أنا اليوم جسد بلا روح

بلا أرض ثابتة... بلا سماء ألمس فضاءها حتى ولو في أحلامي

تلك الأحلام التي أجهضتها أيامنا، والتي تتابع في إيقاع رتيب بات يؤرق صهيل أمنياتي

وأنت ... أنت لم تعد تختلف وتلك الايام

فقد بات كل شيء فيك محايدا

ملامحك ... مشاعرك ... أحزانك ... وحتى افراحك

إحساسك بي ولا إحساسك

صرت اليوم توأم أيامي

وباتت تتسع فجوه فيما بيننا

فقدت رغبتي في كل شيء

هذا الإبحار في عالم السطور والكلمات الدافئة لم يعد يستهويني

وتلك اللوحات فارغة الملامح لم تعد ترغب فرشاتي أن تلمسها لتضع رتوشها الأخيرة

لم أعد أرغب في شيء

ولم أعد أنتظر اي شيء

ولم يعد يؤرقني هجر أو يسعدني قرب

وهذا الجسد المهمل الذي انسيته عزف أناملك

لم يعد يدفئه غير صقيع انفرادي

ولم يبق إلا تلك الزهور النائمة بلا عطر

سأتركها لك قبل الرحيل

لتنثرها فوق أعتاب قبري

علك تذكر أنك نسيتني يوم كنت أحيا فيه بين يديك





اغتراب

لم تكن تعرف وهي توقع وثيقة الزواج انها ستوقع معها شهادة وفاة حبها

ذاك الحب الذي لكم وعدها أنه سيبقي بكرا نديا ولن يقدر عليه الزمن

وأنه لن يشيخ يوما، بل سيبقي يفوق خيال كل العاشقين

تتذكر الآن مقولة صديقاتها التي كانت تأخذها على محمل السخرية

بان الزواج (مقبرة الحب)

وأن المأذون الذي يتمم عقد الزواج هو ذات الشخص الذي يقوم بتأبين ذكرى الحب

تشرد بخيالها للحظات

تتوقف عند تلك الكلمة التي كانت تراها ساحرة قادرة على فعل أي شيء بالحياة

قادره أن تغير لون الأيام

أن تلقي نجوم السماء بين يديها

تتساءل ما السر وراء تلك الكلمة

لمَ تظل بطلا أوحدا لكل روايات العشق

وتتحول إلى الدور الثانوي في مسرحيات الزواج

لماذا تشيخ سريعا

وتفقد خلاياها القدرة على الحياة

لماذا يتوقف قلبها عن النبض رغم محاولات إنعاشه المتكررة

وهل هذا قدر كل العاشقين

أن يمضي بهم العمر في حلقة مفرغه من سنوات الانتظار أمام غرفه الانعاش

وكيف تكون نهايتنا هي غاية البداية

تفيق من شرودها ... تعود إلى مسرح دفترها لتجفف آثر دمعات تساقطت فوقه

ومن خلف سحابة الدموع طيفٌ يتوارى خلف ستار السطور

ينظر إليها نظرة يا كم افتقدتها

نظرة يملأها الحب والشوق

يذكرها به

هو حبيبها... لكنه الآن زوجها

تعجبت كيف لم تتعرف إليه منذ الوهلة الأولى

لم اختلفت ملامحه إلى هذه الدرجة

أيعقل أن يغير صمت القلب ملامحنا

كيف اختلفت تلك الملامح لدرجة باتت غريبة عنها رغم حياتهما سويا لأكثر من عشرة أعوام بين جدران واحدة

وما تلك النظرات المليئة بالشوق واللهفة! والتي بمرور الأيام باتت تفتقدها ملامحه شيئا فشيئا

سنة الزواج كما كانت تدعي أمها في محاولة منها لتخفيف ألم قلبها

سنة الزواج التي تغير ملامح كل الأشياء ... وتفقدنا حتي ملامحنا

لا زالت تائهة في حيرتها ... تتعلق عيناها بعينيه خشية أن تعود لتفتقد تلك الملامح القديمة

المليئة بالشغف والحب

لكن...

صوت بجانبها يعلو... يخرجها من عزلة عالمها الافتراضي

لتفيق على ملامح كانت تشبه بطل سطورها، لكن لا يجمعهما اليوم غير الاغتراب

وبصوت كان في ما مضي هامس (اطفي النور عندي شغل الصبح)

لتعود من جديد تدور في حلقة مفرغه من دوامة الحياة.



الفهرس